## أخطاء يجب أن تصحح

يقع كثير من الباحثين المسلمين الذين يكتبون عن فلسطين في خطأ كبير حينما يتناولون تاريخ بني إسرائيل فهم لا يفرقون بين الصالحين منهم الذين اتبعوا أنبيائهم وقاتلوا الجبارين في فلسطين وبين المارقين منهم والخارجين عن رسالات الأنبياء. وقد يكون مبعث هذا الخطأ أن هذه الأبحاث كتبت بشعور قومي أيام كان هذا الشعور يطغى على مشاعر الناس أثناء حكم عبدالناصر الذي كان يعدهم بتحرير فلسطين حتى أنساهم هذا الشعور هذه الحقائق الثابتة في القرآن الكريم. وهذا لا يخدم قضية فلسطين بقدر ما يخدم اليهود من الناحية التاريخية لأنه يساوي بين قتلة الأنبياء الخارجين على رسالات السماء وبين بني إسرائيل الذين اتبعوا الأنبياء ويضع الجميع في خندق واحد وإن كان لا يوجد من بني إسرائيل الآن إلا الطائفة الأولى إلا أن القرآن الكريم تناول باستفاضة الحديث عن بني إسرائيل وتاريخهم وخلص إلى أنهم في الإفساد الثاني سلط عليهم من سامهم سوء العذاب وأخرجهم من فلسطين ويهود اليوم أحفاد الجيل المغضوب عليه من بني إسرائيل والذي أقام في فلسطين إقامة عرضية أيام صلاحهم واتباعهم لأنبيائهم فمكنهم الله من فلسطين لطرد الجبارين والطغاة. والأرض لله يورثها الصالحين من عباده واليهود فقدوا أسباب البقاء فطردوا من فلسطين بحكم الله.

ومكن الله للمسلمين في فلسطين على يد عمر بن الخطاب ومن الأبحاث التي قرأتها عن قضية فلسطين بحث بعنوان «استرداد بيت المقدس» للدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق منشور في مجلة المؤتمر الخامس

لمجمع البحوث الإسلامية بتاريخ ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٧٠/٢/٢٨ يقول فيه:

«ولقد رحل هؤلاء اليبيوسيون إلى أرض مدينة القدس حوالي ٣٠٠٠ قبل الميلاد وأستوطنوا بها وصدوا غارات العبرانيين التائهين بصحراء سيناء ولما كان العبرانيون يبحثون لهم عن مستقر فإنهم استمروا في دخول «يبوس» وأخيراً وبعد رأي تمكنوا في عهد داود عليه السلام حوالي سنة ١٤٠٩ قبل الميلاد.

وفي هذه الأرض نشأ إبراهيم وأبناؤه حتى نزح عنها حفيده يعقوب عليه السلام، هو وأبناؤه قاصدين مصر.

وهنا تنقطع صلتهم بهذه الأرض، حتى جاءوها غزاة بقيادة (يوشع) حيث استولى على (أريحا) وقتل جميع سكانها ودمرها وقومه عن آخرها، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتذكر التوراة أن غزوهم لفلسطين صادف مقاومة باسلة عنيدة من الكنعانيين أو الفلسطينيين أصحاب البلاد ويذكر سفر صموئيل الأول ٤: ٢ «واصطف الفلسطينيون للقاء إسرائيل، واشتبكت الحرب، فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين، وضربوا..».

ويذكر هذا السفر أيضاً أن إسرائيل: «... هربوا كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل».

وتؤكد لنا التوراة أيضاً غربة اليهود عن القدس ففي سفر القضاة ١٩: ١١ و١٣ نجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف يبوس «... وفيما هم عند يبوس، والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه، ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة، حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا».

إذن فلقد دخل اليهود يبوس في عصر جد متأخر، على يد داود عليه السلام، واضطر أهل البلاد الأصليين إلى التعايش مع الغزاة مرغمين.

ويؤكد المؤرخ «برستد» أنه حتى في الفترة التي كان لإسرائيل فيها كيان ونفوذ في «يبوس» وفي عصرهم الذهبي من داود إلى سليمان عليهما السلام، كان ملك إسرائيل آنذاك بمثابة وال على فلسطين تحت السيطرة المصرية.

يصور هذا البحث داود ويوشع بن نون عليهما على أنهم غزاة لفلسطين في حين أنهما نبيين من أنبياء بني إسرائيل دخلوا فلسطين بأمرمن الله لمواجهة الجبارين عبدة الأصنام ويوشع الذي قاد بني إسرائيل نبي بعثه الله بعد موسى عليهما السلام بعد خروجهم من التيه.

يقول الأستاذ الدكتور إسحاق موسى الحسيني في بحث له عن بيت المقدس منشور في كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٨هـ ستمبر ١٩٦٨م:

«واستولى العبرانيون على المدينة في القرن العاشر ق.م على يد الملك داود الذي اتخذها عاصمة ملكه ووحد الأسباط وعزم على بناء الهيكل ولكنه توفي فبناها ابنه سليمان ونقل إليه تابوت العهد وصار الهيكل بيتا مقدساً يذكر فيه اسم الله وانحرف العبرانيون عن الصراط المستقيم فعبدو الأوثان وتنكروا لرسالة الله الواحد الأحد وارتكبوا الفواحش وظلموا وتكبروا وقتلوا الأنبياء بغير حق فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وسلط عليهم أعداءهم: فقضى الآشوريون سنة ٧٢١ق.م على مملكة إسرائيل وقضى البابليون سنة ٥٨٥ق.م على مملكة يهوذا ودمروا الهيكل وسبوهم وعانى

اليهود في السبي ما عانوا ثم أحسن إيهم الفرس وأعادوا من أراد منهم إلى بيت المقدس سنة ٥٣٨ق.م. ولكنهم لم يتعظوا بما حل بهم ولم يصغوا إلى أنبيائهم فضربهم الرومان مرتين، مرة سنة ٧٠م على يد الامبراطور تيطوس وأحرق الهيكل ومرة ١٣٥م.

ويسير على النهج الخاطئ الدكتور مصطفى رمضان رئيس قسم التاريخ والحضارة بجامعة الأزهر ففي مقال له نشر بالأهرام يقول:

«ولما بعث الله نبيهم موسى عليه السلام خرج بهم من مصر باتجاه فلسطين، لكنهم تمردوا عليه وعبدوا العجل بعدما رأوا معجزات الله على يد موسى الذي نجاهم من ظلم فرعون، وبعد موت موسى عليه السلام غزوا فلسطين في هجمة وحشية بقيادة قائدهم اسمه يوشع ودخلوا أريحا بلد الجبارين بالحيلة واهلكوا جميع من في المدينة.

ويضيف الدكتور مصطفى رمضان قائلاً: إن سبب تخليهم عن أريحا هو أن يوشع وقف بعدما حرق وأباد كل من فيها وقال ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا. (انظر التورا: سفر يوشع).

وعلى نفس المنوال ينسج عثمان بك زاده في كتابه المال والاعلام في الفكر اليهودي (ط١٩٩٩ دار النفائس ص٤٣، ٤٤):

حينما خرج إبراهيم وقومه من الجزيرة العربية توجهوا إلى بلاد ما بين النهرين، ولم تكن إقامتهم هناك إلا لفترة قصيرة، حيث جذبتهم سريعاً خصوبة أرض كنعان المثلى، وكان هذا الاجتياح السلمي الأول للعبريين مناسباً جداً لنواياهم. فحينما دخل الغزاة تلك البلاد، عرفوا كيف يستفيدون

من الفوضى والحروب الداخلية التي ألحقت الأضرار بشعوب سوريا، بهدف وضع اليد على ثروات البلاد.

إلا أنه بعد وقت قصير نجد إبراهيم وقومه يتوجهون نحو مصر، البلد الذي اشتهر دائماً بثرواته وخصوبته. ويرد العبريون سبب هذه الهجرة (هذا الغزو) الغريبة إلى القحط الذي أصاب بلاد كنعان حيناً من الزمن، إلا أنه يبدو أن هذا القحط لم يكن في الحقيقة إلا تعطشاً قوياً لدى اليهود لإرواء غليلهم من منبع الكنوز الفرعونية.

وعلى غرار إبراهيم بذل إسحاق ما عنده لدفع السيطرة المالية إلى الأمام ولابتلاع ثروات أهل البلاد ولتحقيق هذا الهدف ضاعف الجهود واستقر في أراضي الفلسطينيين ولإخفاء نواياه رأى أنه من الضروري استخدام حجة المجاعة مرة أخرى وبهذا استطاع دخول هذا القطر».

هذا الكلام عار عن الصحة ولم يقل به أحد إلا الذي يريد الطعن في الأنبياء من المستشرقين.

يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧).

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (البقرة: ١٣٣).

****